سلسلة روايات عراقية معاصرة ٤

حسين رحيم

حُزنُ الخَوَرنَق

رواية

MOMENT
DIGIBOOKS LIMITED



سلسلة روايات عراقية معاصرة ٤

حسين رحيم

حزن الخورنق

حكايات من عصر الطيور

رواية

مومنت كتب رقمية™
لندن 2014

حزن الخورنق

الحكاية الأولى

وجودي المزمن في الدنيا، جعل طائر القرزبيل الكئيب يأتيني بحكاية من تلك الأزمان غير المرئية، المختفية بين طيات التاريخ.. التي تظهر وتختفي كالمد والجزر.. الكسوف والخسوف.. وتشكل فجوات خفية في التاريخ.. بعيدة عن مرمى التدوين.. وحين أصبحت لدي...

من يدري!

عندها زعل الطائر واختفى.

لا ثبات بعد اليوم لأي شيء تجاه أي شيء.

... في أحد هذه الأزمان، حين كانت الطيور متحكمة بأرواح البشر وتخطط لهم ألوان وطباع قلوبهم وأخلاطها... كانت هناك قرية تغفو متكئة على جبل حزين بقلنسوة من غيوم دائمية على قمته، هذا المدخن الحزين، واهل القرية كانو يعرفون الوقت من ظلال العصي الثلاث المغروسة على ربيئة جنبها...

ينام الوقت حين ينامون

ويستيقظ التاريخ حين يصحون ...

وكان يعيش فيها فتى في خمسينات عمره،

كفيف البصر

يحب امرأة تمسكت بعشريناتها...

حين تبكيها الكلمات يجمد هواء الجبل دمعها فيتحول الى لؤلؤ بلون شعر جنيات الحبة الخضراء.. وهي تعيش في قرية أخرى بظهر الجبل المظلم، والفتى

الخمسيني يحلم بها كل ليلة.. وعند الصبح يدون حلمه فيأتي طائر القرزبيل الكئيب يلتقطها من يد الفتى الخمسيني ويطير بها الى المرأة المتمسكة بعشرينها فتقرأها وتبكي.

يلتقط الطائر حبات من دمعها ويطير بها الى الفتى الخمسيني فيقطرها في عينيه ويرحل ..

هكذا اخبره حكيم القرية.

قطرات من دمع من تحب تعيد اليك بصرك..

وذات يوم، استبق الفتى الخمسيني اهل القرية في استيقاظهم قبل الشمس واستمر في نومه مكملا حلمه الطويل بها...

حزنت القرية...

اختفى طائر القرزبيل الكئيب..

غادرت المرأة المتمسكة بعشرينها بيتها..

صعدت الجبل...

تحولت هناك الى زهرة برية زعول..

فيما وجد أهل القرية أربعة جذاذات ورق في جيب الفتى واعطوها لحكيم القرية الذي قرأها وتحول الى شاعر جوال، واختفى.

الجذاذة الأولى

لأن دمعك مكحلة فؤادي الكفيف
فأنا المبصر حتما بين عشاق الأرض

الجذاذة الثانية

انت وانا وطائر القرزبيل الكئيب...
نملك هذه الأرض
بمحض إرادتها

الجذاذة الثالثة

الحب باب مطلسم.. يفتح لاثنين فقط
على احدهما ان يموت
وعلى الآخر أن ينتمي الى قبيلة الطيور

الجذاذة الرابعة

انت عميقة جدا
فأنا لا أتذكرك
اطمئني.. لن انساك

الحكاية الثانية

لم يكن عليه سوى ان يعبر الجسر كي يصبح في الضفة الثانية ولن يطاله اي عقاب.. لكنه بقى وفضل تحمل عقوبة الجهر بحبه لابنة الوالي على الزواج منها...

وكان جالسا على دكة بابه وهو يسمع مجموعة صبايا يغنين احدى قصائده حين امسك به جند الوالي واقتادوه وصوتهن يطرب اذنيه:

دعيني يا ابنة الوالي

دعيني

انت سماء عطرت يقيني

عيناك عشق

والعشق ديني

في اليوم التالي كان يتدلى من عمود لشجرة زان عملاقة شهدت صلب الكثير من عشاق ابنة الوالي وملكه العضوض على بوابة المدينة.. حيث نبت له جناحان وحلق عاليا كعادة العشاق حين يحتالون على الموت بالطيران لكنه كان يعرف ان عجوز القرية (رأس الحديد) هي من حولته الى شاعر نكاية بأبنة اخيها (مطرة الليل العنيد) التي ظهرت عليها أعراض العشق الذي في نيته ان يحيل أوراقها الى مفتي الشعر وهو فاجعة قريتهم المختبئة في الجانب المظلم من القرية المسورة بأشجار البلوط والزعرور الأحمر.. كيف لابنة حامل القنديل ان تتحول لشاعرة قبل موسم أزهار الزعرور الأحمر... وهو نذير شؤم لهذه القرية التي

عاشت الويل والثبور وأعاظم الأمور من شاعرات كن قبل فتيات عاقلات.. في كل ليلة قمرية تخرج (مطرة الليل السعيد... تدور في أزقة القرية وشعرها يلحق بها كجمع من زرازير سوداء تميل نحو الزنجاري، وتكون نساء القرية ورجالها لحظتها مستعدين جميعا... حين تبدأ جدران البيوت المبنية (بطين خاوة) المجبول بالتبن والسفير بألأرتجاف وتأخذ القدور والأواني والملاعق والمواعين وقناني العطور والتوابل بالإهتزاز تضامنا مع ارتجاف الجدران ومن ثم تتساقط على الأرض محدثة اصواتا كبكاء الخنازير واختلاط روائح العطور بالتوابل. مع صوت الشاعرة وهي تنوح:

يا ليل

يا صخرة العند المعطرة

برائحة زهرة اللؤلؤ البرية الزعول

الخجول/الثكول/الولول....

ولول...

ولول...

ولوووووووووووووو

توقف عن كونك ليلًا

وآتني بحفنة من الزعرور الأحمر

لأطعمه لحبيبي

قبل ان يتحول الى طائر العقعق الذي يبيع عشه الى عشيقته (هازجة القصب) اما الشاعر فكان ابن بائع الدبس (سرى الليل يا قمرنا)... والذي يبيع قطع العسير للقرويين المارين من دكانه ويعلمهم كيفية اكله وذلك بوضع قطعة منه في القسب واكلهما معا... لكن الشاعر الشاب فعلها وهرب... من الغباء.. كما كان يردد دائما..

وحين رأى ابنة الوالي القبيحة في موكبها الطويل تتمايل على هودجها وانفها كخرطوم فيل مقلوب ههههههههههههههه..جلس على دكة بقال وكتب:

دعيني يا ابنة الوالي

دعيني

جمالك القاتل

سلب يقيني

انت سماء

عطرت يقيني

عيناك عشق

والعشق ديني

تغنت بها الصبايا والصبيان. زعلت ابنة الوالي وهطل انفها، وارسل الوالي جنده في اثره.

الحكاية الثالثة

كان الأمير الوسيم على حص.

انه الأدهم... يسير متبخترا بالحرير والديباج وحوله غلمان وقيّان.. من بعيد..

كانت الجنية الزرقاء ترقبه.. وهو عارف بها

قالت له.. اطلب ما بدا لك... قال لها

ـــ أريد ان اكون مثل ذاك الشاعر الذي يسحر أبي الملك..

صباح اليوم التالي.. أحس ان رأسه مليئة بالحروف..

اطل من شرفة القصر..

مد ذراعيه وأخذ يلقي بصوت رخيم

يرتحل الورد

كلما الربيع خاصم صباحاتي

وانا الشعر... قاق... قاق

يعتعت الصبح بأذيالي... ويص.... ويص

من بعيد... جاءت أسراب طيور من جهات الأرض الأربع

احتلت شرفة القصر... جذلة... طربة.. بولادة شاعر بجناحين مرصعين بلؤلؤ وعقيق وزمرد

لم يعلم ان الجنيات لا يقرأن الشعر... زييك... زيييك.... زيييييييك

الحكاية الرابعة

كانت تحلم بالعشق تاجا لأنوثتها حين شاعرها يرصع جبينها بإكليل قصيدة لها وحدها.. وكان اباها اميرا لملكة رعاياه...

حمام...

قبج...

لقالق.. بلابل... ببغاوات...

عنادل... عصافير.... كراكي... غرانيق... زرازير ....بجعات .... اوز ...

كـل صــباح تــطل مــن شــرفــة الــقصر على الــبحيرة الــصفراء...تتمطى متثائبة ...تفتح ليل شعرها فيتدلى الظلام متموجا نحو عمق البحيرة المصفر

جمة

جمةِ

تضحك ... تصيح الطيور

ضحكت ابنة ألأمير

ضحكت ابنة ألأمير .

يقفز على كتفها سنجابها ألأصفر

تقبله من انفه المرتجف

تنحدر دمعة من عينها وهي تردد احدى قصائد حبيبها الشاعر الذي حولته احدى قصائده الى سنجاب اصفر

تمسك سنجابها وتضعه في صندوق ..خوفا عليه من ان يتحول الى طائر

تخلع ثوبها الأبيض وتقفز الى البحيرة حيث اعماق القصيدة
قلبي سنجاب اخضر
ينتظرك كل مساء
على شرفة البوح
كي يمسح عن عينيك أوهام الشعر.

الحكاية الخامسة

وكما اسلفت .. التي سلمني اياها طائر القرزبيل الكئيب

كل يوم حكاية

والآن اليكم الحكاية الخامسة

... وكان لحكيم القرية ابنة تمارس السحر خفية عن ابيها خوفا من زعله .. ذلك انها سمعته مرة يقول ليس من الرجولة ممارسة السحر ونحن نملك رأسا نفكر به وعينين نرى بهما ويدين نعمل بهما وساقين نذهب بهما اينما نريد ... اذن ما حاجتنا للسحر

رغم ذلك كان يسعده سماعها وهي تتحدث بحماس عن اولئك الناس الذين سيأتون فيما بعد... فيما بعد. وتعني بها مرورا كثيييييييييييرا لظلال العصي الثلاث ويمارسون السحر بشكل مختلف عنا وسيختزلون كل شيء...

كل شيء

سيكون لهم عين واحدة

واذن واحدة

ويد واحدة..

فهم يكرهون الأعداد الزوجية

وحين تضحك يتحرك رأسها وشعرها الأزرق الطويل معقوف بشكل ذيل حصان.. وكان الناس يهمسون ان زرقة شعرها من خالتها جنية حبة الخضراء...وهو ما شاع في القرية والقرى المجاورة ..وكلما مروا قربه يطأطؤون

رؤوسـهم ... وذلك مـا كـان يـغيظه وهـو يـعرف ان اسـمه الـغريب يـأتي على بـالـهم (غـازي) الـذي اطـلقه عليه ابـاه (صـياد الـليل الـطويـل) وهـو امـر مشـين ان يـكون الأسم من كلمة واحدة ...لكن كان عليه كتم ذلك حرصا على ابنته (مسرجة الليل الـعتيق) ...وحـين غـادر الـقريـة بـعد ان حـولـته جـذاذات الفتى الـخمسيني الى شاعر ..بقيت هـي قرب سرير الفتى الخمسيني بانتظار نهاية حلمه بحبيبته التي تحولت الى زهرة برية زعلا على جنيات الحبة الخضراء الزرق ...

بقيت مسرجة الليل زمنا طويلا قرب السرير تكركز حبة الخضراء ليلا ونـهارا تـنام وكـان صـوت الـتكريـز ينتشـر حـول الـقريـة مـن طـقطقة حـبة الـخضراء بـين اضراس الجنيات الزرقاوات ....ومن طريق بعيد كان صوت اباها الشاعر الجديد يقطع ايقاع تكريز الجنيات الزرقاوات

احببت عشرينية
والجذاذات ما عادت امينة على الدموع
لذلك زعل طائرالقرزبيل الكئيب
وارتديت جبة حكيم القرية ثم ارتحلت الى هناك
ما زالت جنيات حبة الخضراء الزرقاوات هناك يطرقعن قلبي
يا مسرجة الليل العتيق
رطبي خريف حلم الفتى الخمسيني اول المساء
دائما ...اول المساء
حذاري ان توقظيه
فهناك حبيبته ...زهرة الزعل البرية
تنتظر بزوغ شمس العشق ألأزرق حين الخجل.
لكن (مسرجة الليل العتيق) قررت ان تخرج هذه الليلة ..
عرف اهل القرية بالأمر ...

تهيأوا له .. لملموا اواني الطبخ والقدور وقناني العطور وعيدان البخور وكل الملاعق والصحون في اكياس من الجنفاص وعقدوا رؤوسها .. والهمس يدور بينهم

ـ يقولون....الليلة... مسرجة الليل العتيق ستلقي قصيدة قويييييية جدا وطويلة ...

ـ تمسكو بالجدران جيدا ..لا احد يعرف ما الذي سيحصل

ـ اللهم اجرنا من قصائد الليل الطويلة والتي تلقيها فتاة حولها العشق الى شاعرة

وخرجت مسرجة الليل العتيق ...تجولت في ازقة القرية الخالية والساكنة ..لكن خلف جدران البيوت كان اهل القرية يتنصتون وقع خطواتها .... ووجيف الخوف يحبس انفاسهم

حين وصلت الى تقاطع ثلاثة طرق وسط القرية...توقفت ...فتحت ذراعيها وصاحت

يا ليل القرى الأحمر
ابشر بصبابة الحروف
يراعات الشعر
فقد حلت مسرجة الليل العتيق بين ظهرانيك
ما كان لطائر القرزبل الكئيب ان يخون لؤلؤة الزعل البرية
ما كان لفتى العشق الخمسيني ان يحضن الحلم
ويعتزل الغرام
لولا دمعها المجفف
وهي تسير في ارض رمال قلبها المتحرك
مستجيرة بآااااااه ندية ... كالبخور حين يحاصره البخر

طائر

طائران

ثلاث طيور

تزين اكتاف الكلام المطهر من غرين التكرار وطمر العادية والرتابة

مسرجة الليل العتيق

مرت من هنا

وشقت صدرالكلام

بدرب نيسمي عميييييييييق

فقد فتح الشعر طريق القلب

ولن يعود الأمر كما كان

ابدا

ابدا

ابدا

يا ليل القرى الأحمق

توقف عن كونك ليل

وآتني بحفنة من الزعرور الأحمر

قبل انتهاء موسم عشق الجنيات الزرقاوات

اخيرا ...

الجميع ..

الفتى الخمسيني

زهرة الزعل البرية

طائر القرزبيل الكئيب

حكيم القرية الذي حولته جذاذات الفتى الخمسيني الى شاعر جوال

ابنة الأمير وحبيبها الذي حولته احدى قصائده الى سنجاب اصفر

الأمير الوسيم وجنية الحبة الخضراء الزرقاء

مسرجة الليل العتيق

ابن سرى الليل يا قمرنا ...الشاعر الذي سخر من ابنة الوالي وتحول الى طائر محتال على الموت

مطرة النهار السعيد ..ابنة حامل القنديل ...التي شعرها يرجف جدران القرية وتنكسر ألأواني وألأقداح وقناني العطور والبهارات تتمازج روائحها

فرشوا سجادة الحكايات الخمس

اعادو ترتيب كل شيء حسب اولويات الشعر حين الحب يقعد على كتفيه ويدلي ساقيه

سنعيد الحكاية مرات ومرات حتى يعود كل شيء الى ما كان عليه .....

كان لذلك ألأمير عم ...كل صباح يصعد على شجرة اللوز في حديقة قصره ويجلس على احد اغصانها ويغرد وحوله جمع من طيور الكناري الهندي والحسون يقلدونه بصعوبة وكان هذا العم صديقا للأمير التي تحول حبيب ابنته الى سنجاب اصفر مخبأ في صندوق كي لا يراه ألأمير ويحوله الى احد رعاياه من طيور الكناري..وفي رواية اخرى اخضر وكانو يقولون انه حين ولد تعامدت الشمس مع القمر مع المريخ مع الزهرة كمسبحة الهية مربوطة بخيط القدر ...وكان ذكيا لدرجة لم يخبرهم عن طيور الكناري والحسون المقلدة له ..لكن كان عليه مغادرة القصر قبل ان يكشفه اخاه ..اخذ بالسير وتطوي به ألأرض المسافات ...بعيدا ..بعيدا ...حتى صادف في طريقه الشاب الذي تغزل بإبنة الوالي..القبيحة بقصيدة مطلعها

دعيني يا ابنة الوالي دعيني

جمالك الفتان سلب عقلي ويقيني ..

وفي رواية اخرى .. انت حلم سلب يقيني

مكملا هروبه من ابيه بائع الدبس (سرى الليل يا قمرنا) بهروبه من الوالي وذلك بالتحايل على الموت بالطيران ..او هكذا قيل.......

جلس الأثنان على قارعة طريق (ملوك).. وهي شيطانة هربت من جحيم دانتي اليجيري واتخذت هذا الطريق مصيدة للعابرين لسلب ارواحهم لكنها وقعت في عشق شاعر جوال متحول من الحكمة الى الشعر ولعنة قصيدة ظلامية .... فيما بعد ....اصبحت متسولة واندرس الطريق بعد ان هرب منه العابرون ...اخذ ألأثنان بالحديث بعد ان جمعهما هروب واحد ...تحدثا كثيرا ..عن كل شيء حتى مل الحديث منهما عندها وقف شقيق ألأمير (مغرد الكروان الأول) وقال ..

ـ الوقت ممل ..لم لا نكمل حديثنا تغريدا ...ايده الشاب في ذلك وقال

ــ الحديث الكثير يميت القلب ..كالضحك ..

اما عن ابنة حكيم القرية المتحول (مسرجة الليل العتيق) بعد تحولها ...تركت كل شيء وراءها... حبيبها ..الفتى الخمسيني المتمسك بذيل حلمه الوحيد .. وقصيدتها التي مطلعها .. يا ليل القرى ألأحمر ... والتي كسرت كل ألأواني والقدور والأقداح الزجاجية والفخارية ونوافذ البيوت البللورية في قريتها..وارتحلت ..ثم ...بعد زمان الفتى الخمسيني وحلمه المسكون ...حتى قال الشاب

ـ هيهات ان يستيقظ شاعر ارتقى بمن يحب الى مقام الحلم ...عندها حدث شيء غريب ...زعل الثلاثة دفعة واحدة وقرروا التراجع عن ما كانو عليه والعودة الى ما كانوا عليه قبل التراجع عن ما كانوا عليه ...رمى الشاب عدة الشعر وبصق على الوالي وابنته وكرسيه وعاد الى ابيه ...يبيع التمر المحشي بالعسير للقرويين ويعلمهم كيفية اكله

عاد شقيق ألأمير الى شجرة الزعرور ألأحمر ..جلس على غصن منها ..وبصوت كالحريق ..امتلأت الشجرة بتغريد كل طيور الدنيا ..استل شيش

الدمغات من عبه ودحسه في كومة جمر حتى ابيض عندها دمغ قلبه بختم انتهاء الحكاية ونام على الغصن ..كما لم ينم من قبل ..

اما مسرجة الليل العتيق فقد عادت الى بيت ابيها حكيم القرية وعادت صبية المستقبل بشعرها ألأزرق الذي يهلهل ضاحكا كل صباح حين ترقفص امام ابيها وتحدثه عن اولئك الناس الذين سيأتون فيما بعد ...فيما بعد..بعد مليارات الظلالات للعصي الثلاث ...ساعة القرية الخرساء ...وعاد حكيم القرية من منطقة شعره ونزع طاقية ألأخفاء واختفى

اما زهرة البرية الزعول فقد تراجعت عن زعلها وعادت صبية الحب ألأولى وعاد دمعها حبات لؤلؤ ازرق يقطره كل صباح طائر القرزبيل ألكئيب في عيني فتى العشق الخمسيني بعد ان تراجع عن حلمه

اخيرا... أجتمع الكل في اكبر وليمة حبة الخضراء

تحف بهم جنيات حبة الخضراء ذوات الشعر ألأزرق

رنين ضحكاتهن تصبغ الموجودات بألأخضر الفيروزي ..

لكن بعد الوليمة نهض الجميع منتبهين الى سحابة سمينة اطلت عليهم ... من خلف جبل مجرود ..كانت تنوء بحملها وهي قادمة باتجاه القرية

وقبيل وصولها ..ترك الجميع الوليمة وهربوا ...

كل الى بيته واضطجع على اول فراش صادفه وعظامه تطقطق كتقريط حبة الخضراء

عندها تراجعت الحكاية عن البقاء

حزمت حقائبها كأمرأة تقطر مكابرة .. وارتحلت .. باحثة عن ارض جديدة وقرية تزرع فيها نبتها الظاميء الى حفنة من ماء القلوب.

شجرة اللوز ألأسود

كل صباح يرنوالى اسماع اهل القرية بكاء من بيت المختار.. الذي كان يبكي ايام جنونه التي غيبها عقل استيقظ اخيرا

مثل صبوات متأخرة جمدت عمره وحولت قلبه الى زهرة بلاستيكية

مثل غمامة ارتياب كرائحة العجائز هطل مطرها ألأسود على قلبهِ

وهو يراها تمرق من امامه مسرعة ..

السيدة ذات الرداء ألأسود ..

اناخ قلبه نكوص يعرفه جيدا ومر به قبلا وذلك...منذ

... (حين بلع حصاة مضيئة بلون اخضر.....) ..

هذا ألأمر الذي تحدث به اهل قريته لسنوات ولقب بالفتى الذي بلع حجرا يضيء بلون اخضر...

فيما بعد اختزل ألأسم على لسان العوام بـ (بالع ألأخضر اليابس) يستذكرونه   و يتداولونه   بين السنتهم كل عام .   .ويبدأون هكذا

ـ اتذكر ذلك اليوم الذي بلع فيه المختار ...

و يصمتون رغم ألألم الذي كان يعصر بطنه كلما سأله احدهم .

تلك العادة السيئة التي كانت تخترق صمتهم لكنهم تركوها حال معرفتهم بأن ذلك يزعجه .... خوف صغير تنامى في اعماقهم وتضخم تدريجيا

..كانوا ملزمين بألا يأتوا على ذكر ألأمر امامه او يفكروا بعلاجه ..وان مروا قربه عليهم ان يحنوا رءوسهم كأن لم يروا شيئا..لأنهم على يقين ان في اعماقه يكمن السر ولا يذكرون اسمه بل ربما يقولون ..ذلك الشيء..

... تركوه يذهب و يجيء لوحده ..حتى امه الوحيدة ..قال لها احد الحكماء الثلاثة ووجهه لصق وجهها ...

ــ ..انه ليس لك ألأن .....

لكنهم كلفوا احد شبان القرية بمراقبته من بعيد وأبلاغهم عن مايفعله

.. وحين اصبح رجلا رصفوا امامه فتيات القرية العشرين ومأذون الزواج يقف بدواته وقلمه لكنه طأطأ رأسه...

لذلك قال (طائر الفجر اللواب) وهو يحتضن (عندليبة) ..

ـ إنه لن يتزوج غيرها ..

ويوم مات مختار القرية جاءوا بعباءة المختار وختمه ومسبحته. ومبصقته وحطته وضعوهم امامه وانصرفوا

......التصق الإسم به

امن اهلها بعده مكر سحرة ارض الباقلاء

وابالسة عين كبريت

وزعل (جنيات الغبشة)..

و..

ها هي السيدة ذات الرداء ألأسود كل يوم تعصر قلبه بمرورها وتحسسه بآلام الحصاة الخضراء ..منذ ان كان صغيرا..يقف على حافة (فتى مجرود المدلل) وهو يرقب أسماك (الديرك) بضوئها ألأخضر والتي تأتي..من ينبوع في اعالي جبل (مجرود) وهو مخفي عن ألأنظار ويظهر كل عام لساعة واحدة ...

يقذف اسماكه في رحم النهر ويختفي ... كان المختار يراقبها كل يوم ويحلم بأكلها ...حتى التقط واحدة وبلعها ....

لم يكن على المختار ان يتعب نفسه بالتساؤل فقد اخبره حكماء القرية الثلاثة كل شيء عنها وعن (فتى مجرود المدلل)... الذي يفيض في موسم مسافدة الضباع لنفسها او لبعضها..وينحسر..وييبس ..حين يتحول القمر الى رغيف من نحاس في ليلة من ليالي مستذئب حزين...

...نهر كفرس غاضبة تأبى ألأمتطاء الا لفارسها الذي يأتيها مرة ثم يغيب كما الدخان الطالع من جرح ..

هل يستطيع المختار ان يحفن دخانا من ذاك الجرح ويبثه بوجه قلبه ..اذن انه الحزن من بث الرعب في قلوب ابناء القرية بأعمارهم الثلاث ...

رغم انه لم يكن يرغب في ذلك ابدا ...ان يتحول حزنه الى رعب في عيونهم ..

ان يكون جرحه المدخن منذ طفولته شبح ملعون ينوح كل يوم قبيل المساء

كان صوته يصلهم

ـــ جوعاااااااااااااااااااااااااان ...

ما أقسى خوفاً يلبس طفلا ويستمر معه الى الشيخوخة....

هناك ... يتناثر فتافيت خبز بائت ....

سنوات ....

اشهر ....

وايام

وسويعات من عشق معوق للخوف منذ ولادته ...

ذلك اليوم حين رآها لأول مرة وهي تمرق من امامه سرب نحل اسود يتماوج ويتلوى. نام سعيدا تلك الليلة وحلم ببحيرة العسل الاسود المخفية بين كثبان رمال (صحراء السواد ألأعظم) ولم يعط اذنيه الى حديث الحكماء الثلاثة ..عن ألأرملة السوداء التي تمتص رحيق الذكورة المشبع برائحة الكستناء

وتخبيء رائحتها المخبوءة في حقيبة امرأة عنوس .

كان الجميع يخافها ويتداولون فيما بينهم القصص عنها بأن اصلها ربما شجرة خبيثة تحولت في ليلة من تلك الليالي التي يتصارع فيها الشياطين والملائكة للأستحواذ على ارواح البشر وحين يندحر الشياطين بقدرة الله تعالى وينزلون الى ألأرض ... يزرعون الخبث او الخبائث في احد مخلوقات الله الضعيفة .. لتنبجس و تعيث في ألأرض فسادا فيما بعد ...هكذا جاءت ألأرملة السوداء... ويتحدثون عن مقبرة مخفية مملوءة بجثامين ضحاياها من مخاتير

القرى المجاورة .....وكانت لقرية المختار (شجرة اللوز الأسود) مطربها (طائر الفجر اللواب)

..لكنه لص ليلا ..

وديك فجرا

ومأذون زواج ظهرا ...

ومطرب عصرا

ومجنون كل وقته

و.. احيانا ..

حين يزعل المختار ويعتزل ويعود بالع ألأخضر اليابس يأخذ مكانه ... كل ذلك ..مهابة ...خوفا ....

من شيء اسمه فقدان الذي يعني كما كان يردد احد الحكماء الثلاثة ...ليس هناك من بريق يضاهي بريق الفقدان لوعة

..الموغل

عميقا

عميقا

في ماضي القلوب

وبكل سذاجة تلك القرى المشبعة ببراءة طيور جنة ألأرض كان اهلوها يمارسون فقدان ألأشياء بشغف كي يبكوها بتلذذ فيما بعد ..

وهناك يوم تعيشه قرية (شجرة اللوز ألأسود) كل عام ...

يدور ابناؤها في ازقة القرية وكل منهم يحمل شيئا لمفقود يبكيه ثم ليلا .. يجمعون مفقوداتهم وسط القرية في تلة صغيرة

....احذية متهرئة ..

دبابيس ...

اقراط ...جواريب عتيقة ...

خصلة شعر ..

اسنان لأناس رحلوا ...

البسة داخلية مشبعة بروائح التعرق والبول

لأن للجسد رائحة لا تعرف الكذب .. ..

بعدها يبدأ كل واحد يأخذ شيئا معه الى بيته .....اي شيء ويتشبع من رائحة الفقدان ...

لكن مطرب القرية (طائر البرق اللواب) كان حزنه مغايرا

في ذلك الصباح وجد آلته الموسيقية بعد اختفائها مرميه على باب داره

... حين صرخ بلوعة ..آآآآآآآآآآآآآآآآه.. يا عرضي

.. يا شرف قلبي ..

حملها ودخل البيت ..في غرفته ..احتضنها .. وسالوبي دمع اسود انحدرا بعيدا...

عميدا ..عميقا ..

عميقا...

عميقا ..

الى حيث نبع حزن القرية الذي يفتح بوابة دمعه الحلو كل الف عام مرة ويختار اكثر الرجال حزنا ..من اولئك الباحثين عن موطيء قدم لقلوبهم المعطوبة بالفقدان ..وكان اهل القرية يسمعون نواحه لثلاث ليالٍ ...

ـ ماذا فعلو بك؟

ـ من قطع حبال صوتك التي استعرتها من (الحريش) في أرض ليبيا؟

...طفلتي

.... يا طفلتي

...لكنه حين يذهب الى ذلك المكان من اعماقه كان يخبره ...عن ذلك المأفون ..بشعره ألأحمر الجالس في المقدمة ..حين يعزف

...وكان هناك (مغزل الساحرات اللغوجي) ....

صبي أبكم ... يأخذ شكل قندس حين يخجل ..كان المختار ينوب عنه بالكلام لكنه كان مفيدا هذه المرة بعد ان عجز (طائر البرق اللواب) عن ايجاد الفاعل رغم استعانته بسحرة ارض الباقلاء

وشياطين عيون الكبريت ..

والعفريت الذي يسكن اسفل النهر

.. قال له بلسان المختار

ـــ دون تعويذتك على وجه النهر....

دمعت عينا (طائر الفجر اللواب)

واضيف حزن جديد ...الى احزان القرية العتيقة

وكان مغزل الساحرات اللغوجي يعرف عاشق ألآلة الموسيقية لأنه كان يراقبه من زمن .... ولأنه عشق ...

فقتل المعشوق ... مباااااااااح في عرف العاشقين لذلك امسك بها .

..بعد ليلة تركها مقطعة الأوتار ....وحتى يقفل باب الحكاية قال له العبارة التي يعرفها ابناء القرية (دون تعويذتك على صفحة النهر)... وبذلك صمتت روحه عن النواح

.. كان اكثر ما يخيف قرية (شجرة اللوز ألأسود) ..هو اجتماع هؤلاء الثلاثة ...

امرأة

وشاعر

وأغنية ..

فهم يتذكرون بخوف آخر اجتماع لهؤلاء الثلاثة وما حصل بعدها من امور يتحدث الناس عنها دائما بهمس وريبة ويلوح في الأفق هذا الأمر ..

هذا ما لمح اليه احد الحكماء الثلاثة ...كل ليلة تنتشر رائحة بخور طائر العقعق في سماء القرية تعويذة تدرأ لعنة اجتماع الثلاثة ...

سرا يبكون

عليهم ان يعيشوا الفقدان ..

تعويذة ملائكية تعلق في اجمل مكان في البيت ..وان يتعايشوا مع انكسار الموسيقى بعد اغتصاب (عندليبة) وسيكون عليه الترحال الى ارض ليبيا للبحث عن (الحريش) واستعارة اربع شعرات من رقبته لتعيد شرف عندليبة

..هذا ما كان من امر (طائر البرق اللواب) وحبيبته (عندليبة)...اما المختار فقد كانت امه تقول لصويحباتها

..لديه اذن تطرب لرفيف اجنحة النمل ألأبيض على بعد ثلاثة وديان..

في صغره كان قلبه يترنح بين الصمت والبكاء بخاصة عند الصباح ولم نكن نعرف الا حين رأيناه يلحق بسرب فراشاة الليل البنفسجية باكيا.. وحين تكلم رأينا شعرا أسود ينقش وجهه ....

وحين كان هناك من يراقبه ...تخلى عنها بعد زمن لأنه لم يرضه ان يرى صبيا يقف على حافة نهر يهز رأسه طربا وجمع من طيور الحسون تطير جذلة فوق رأسه ..وقد رواها لأصحابه في ليالي القرية المضيئة بمسرجات دمع الغراب وهو زيت اسود من نبع قريب من القرية على (درب الحية) يجلبه العم (سارج) كل اسبوع ..

يمر على بيوتات القرية ..

بيتا...

بيتا

يزق المسرجات بدمع الغراب وهو صامت ..

كانت مشكلته تكمن في ان كل نساء القرية يعشقنه دون ان يعنيه ذلك..هذا الرجل المغطى برائحة دمع الغراب ..العائش في غرفة مبنية بالجص والآجر في

طرف القرية ..الصامت مع حماره (عصفور النار) يدخل كل بيوت القرية بلا استئذان ...لكن حكماء القرية الثلاثة نصحوا نساءها بأن تتناول كل واحدة في ذلك اليوم بصلة زرقاء تجلب من ارض عيلام ..بذلك تتجنب المرأة ايروسية الباه الآتية من رائحته الجاذبة للنساء...هذا ما كان من امر فقراء القرية اما اغنياؤها فكان عليهم كل صباح ان يذهبوا الى طريق الفقراء ويقفوا هناك ..لأن الثراء غباء ربما يتحول الى لعنة كما قال احد الحكماء الثلاثة. لذلك عليهم ان يكونوا حذرين ازاء مكابرة فقراء القرية المجنحة وعدم اظهار غناهم...ونتيجة لشكاوى الفقراء امر الحكماء بعدم وقوف ألأغنياء على دربهم كل صباح حين يذهبون الى حقولهم ..لأن في عيونهم هناك حسد يستشعره الفقراء ..من يستطيع ان ينال رضى فقير من هذه القرية التي يحدها جبل مجرود الحزين شمالا ونهر (فتى مجرود) المدلل شرقا.. وسحرة ارض الباقلاء جنوبا وابالسة عين كبريت غربا فكل ما يفعله هؤلاء ألأغنياء يشوبه السوء من استخدامهم زيت سمك الديرك ألأخضر في اضاءة بيوتهم المبنية بالمرمر ألأزرق اللين الذي يقتطعونه من جبل مجرود الحزين وثيابهم الفضفاضة من الديباج والحرير ألأصفر وهو نوع نادر يجلبه تاجر قماش متجهم دائما على ظهر بغل يشبه راكبه في الجهم ..هذا ما يفعله اغنياء شجرة اللوز ألأسود ألأربعة ...

النذرة ...ان يندر شيء ..

يعني وراءه رجل غني او ثري ..

لا فرق ..كله غباء ... ...

من المخجل ان تكون غنيا في قرية ....ليست بحاجة الى اغنياء ..

لكن زيارة السيدة ذات الرداء ألأسود الى القرية ومرورها السريع وسطها كنهر في عجلة من امره ...جعلت اطفال القرية يسيرون خلفها وهم يرددون اغنية

ألأسود يصبغ ألأحمر بالفحم

ألأخضر يبكيه ألأصفر

لا احد يحب ألأبيض

لكن ألأخضر ما زال يحب ألأسود

عليها ان تكون سعيدة ..فهذه الترنيمة تذكرها به ..هذا الذي هرب روحها واخفاها في اعمق مكان يعود له ..(بالع ألأخضر اليابس) ...

صديق فتى مجرود المدلل ...سارد حكاياه الكبير

عن صبايا بشعر سمائي يعشقن الحبة الخضراء وطائر القزربيل الكئيب

...كل مساء يشقن بطن النهر المحدودب ويخرجن حين اصواتهن تترنم بأغنية ...

... ينفجر الربيع السماوي بوجه الليل اليابس

ألأرملة السوداء ستغضب

ولن يعود بالع ألأخضر اليابس الى البيت ابدا

فقد هبط قرين الفجر اخيرا ومشط جدائل القمر باصابع الفضة ثم اقفل باب العتمة

نام الجميع تلك الليلة سكارى تعويذة السيدة ذات الرداء ألأسود

يا للسعادة ......

ان يعيش ابناء القرية حلم ان يفكروا باثنين يحبان بعضهما دون ان يعلما بأن ألأخرين يعلمون بألأمر ...وحين خرجت صباحا من بيت المختار ...اقسم مغزل الساحرات اللغوجي انه رآها تطير حال ابتعادها عن القرية ...

هكذا ألأمر دائما لابد من ..احدهم يفتح عينيه ...

عليها كي تتحول الى خرافة ...

فيما بعد ...وهو ما حدث للذهب حين كان مليئا بالشهامة والرجولة والفائدة في علاج الكثير من امراض القلب الرهيف ..

قبل ان يحوله احدهم الى ......طاووس بإلصاق تهمة الدهشة به ...

فقط المختار من يعرف اوان طيرانها ...لأنه كان اول صبي رآها تطير ..قبل ان يبلع ألأخضر ويصاب بداء العشق لها ..لكن الذي اكتشفها قبل الجميع كان (طائر الفجر اللواب) مطرب القرية ولصها وديكها ومأذونها و...

ركض الى منزل الحكماء الثلاثة منتشيا بما رأى ..

اخبرهم بألأمر ..

قال الحكيم ألأول

ـ علينا ان نتحضر للأمر فهو بلا ميعاد او ميقات

..قال الحكيم الثاني:

ـ هناك الكثير من الحب في قريتنا لكن لا يلتقط العشق منها الا واحدا ...كل مرة ...

عليه تحمل خجله ...فالطيور لن تسكت .على هذا .

وعليه ان يتوقف عن الضحك فليس لديهم ألأستعداد لبناء اعشاشهم مجددا قبل موسم التزاوج ..

كانوا يعرفون ذلك وهو امر معروف ان يعرفوا ذلك بخاصة ستتلون اغاني الطيور بفرشاة ضحكه وستستيقظ اوتار (عندليبة) ألأربعة

صوت البلبل احمر

صوت اليمام اخضر

صوت القرزبيل زهري

صوت الكناري اصفر

صوت الكروان اسود وكان الوتر الخامس موصول للسيدة ذات الرداء ألأسود ..وكان مرور المختار ورنين ضحكاته ترتجف لها اعشاش الطيور ويسقط من بعضها البيوض ...كان عشق المختار ..نهر عظيم يتشعب الى جداول وسواقي تتوزع على بيوتات القرية ...الجميع يضحك ويمني نفسه باستمرار الفرح

زعلت الطيور وحملت اعشاشها بعيدا بانتظار ان تهدأ عاصفة العشق
لكن ظهور جثة على قارعة درب الفقراء خرب طعم الفرح في افواه ابناء القرية ..رغم ان (مغزل الساحرات اللغوجي)... طمأنهم على لسان المختار بأنها تعود للفتى الخمسيني عاشق (زهرة البرية الزعول) من قرية الجنيات الزرق وسيعود بعد ان تقول السيدة ذات الرداء ألأسودماينبغي...
تلك الليلة ..كعادة العشق حين يحقن قلب عاشقين بنقيع فراق معتق ويختزل الزمااااان ..قالت له :

ـ اوغل عينيك في وجهي
تمعن بصبغة العشق في ملامحي قبل ان يمحيها رمل صحرائي
علت صرخة منه
انتبه احد الحكماء الثلاثة
قال الحكيم الثاني
ــ لقد فعلتها ألأرمة السوداء
بكى فتى مجرود المدلل
وغادرت جثة فتى العشق الخمسيني القرية
هكذا اذن
صمتت القرية على نهاية اخر قصة عشق
بعد ان رمت السيدة ذات الرداء ألأسود ثلاثة اوراق تاروت بوجه قلبه
الموت
سوءالحظ
اللاجدوى
انطفأ ذلك الصباح
تغير طعم الشمس في عينيه
واختبأ الظلام خجلا

خرج طائر الفجر اللواب صارخا

الحقو به قبل ان يطير

الحقو به قبل ان يطير

هرع الجميع الى تخوم القرية

كان الإشقرار قد صبغ سطوح المنازل ودرب المزارعين من تلك الشمس الحنون على قرية لن يتركها الحزن لزمن طويل ولأن فقراء القرية يكرهون الدهشة فقد كانت مشروطيتهم على الحكواتي الجوال ان يخبرهم بالنهاية قبلا ثم يبدا من البداية وكما يلي

يمد رأسه للأمام

ـ كما تعلمون فإن ألأمير يقتل الساحر الغبي ثم يفك ألأميرة من سحرها ويتزوجها في حفل بهيج استمر لليال طوال والناس في فرح ومرح وعاشوا مئة عام وعدت انا منهم وفي كفي حفنة زبيب وحفنة حمص ..

لذلك خرج اهل القرية على صياح (طائر الفجر اللواب) ...عرفوا اين وماذا يعتمل في نهاية الحكاية ...

وكان المختار قد سبقهم الى هناك ..بعد ان طبع قبلة على جبين بيته ..

وقف لوحده

مد يده الى جوفه واخرجها ...

حفر حفرة بحجم قلبه ودفنها ...الحجارة التي تضيء بلون اخضر. كان الجميع قد وصل من القرى المجاورة ...لم يبق عاشق او شاعر لم يصله النداء ..

وقف المختار ..

فتح ذراعيه وكان يعلم بالجناحين ..

اندهش الجمع خلفه وهم يشاهدون الشعراء حين يزعلون على الموت بالطيران

كان يرتفع ..

وهم يبكون

يبتعد عن الجاذبية

والدمع يحن اليها

وهم يسمعون وحيف جناحيه طربا

وهو يرتفع

وكلما زاد ارتفاعه زاد نطاق مرآه..حتى رآها واقفة ..لكنها بعد لحظة اختفت

انها هي (مسرجة الليل العتيق)

وكانت تلك آخر سعاداته ...واكمل صعوده مبتسما هذه المرة

وهم يودعون ...وهو يذوب في زرقة السماء

حتى ابتلعه ألأزرقاق

عاد الجميع الى ما كانوا عليه قبل الرحيل

سيحكون لأبنائهم عن المختار الذي التاف العشق عليه وغافل الموت بالطيران وعن الحجارة التي تضيء بلون اخضر ...

وعن طائر الفجر اللواب

وكيف غادر الموسيقى بعد عودته من ارض ليبيا خائبا لأنه لم يجد شعرة واحدة في رقبة (الحريش) بعد ان ...اسقطتها احزان الشعر/ العشق

وعن مغزل الساحرات اللغوجي

وكيف امسى وحيدا بعد رحيل المختار ... يسرد حكايات عن بالع ألأخضر اليابس ..المختار في حكاية اخرى ..وكيف سرق صمته بعد ان سرقته السيدة ذات الرداء ألأسود

وعن العم سارج بائع دمع الغراب وغواية نساء القرية ...

وعن اماسي القرية الذابلة بعد رحيل المختار وانضمامه لجيش النجوم المزروعة في السماء بعد ان كانو شعراء ...وعن ابناء عمومتهم في العشق

فتى العشق الخمسيني

طائر القرزبيل الكئيب

وعن ...

مسرجة الليل العتيق..التي ستذهب الى غابة الحبة الخضراء حيث خالتها جنية الزرقة ..ستدخل جوف شجرة حبة خضراء وتكتب

هناك .... تكتب

((... كان يوما قطفته من الزمن

حين مرت السيدة ذات الرداء ألأسود امامه

يا بالع ألأخضر اليابس

يا لوعة مجرى نهر مهجور

يا حزن مجرود

يا مختار

كان عليك ان لا تنظر

فما زلت بالع ألأخضر اليابس

اخجل من قلبك

لا تنظر

لأن الظلام ما زال يسحب اذياله من ظلال السيدة ذات الرداء الأسود

وقلبك حجر عثرة دربها كل صباح

وما يأتي من سلالة الحب

وذاكرة القلوب الرطبة..

لم اخرجت ألأخضر ودفنته في قبر بحجم قلبك؟؟

وغادرت

الم تعلم انهم سيأتون

بعدك سيأتون

اولئك

سحرة العالم والجنون

سيركبون للأخضرار قناع الطفولة

سيغطي اسوداد القلب لكنهم سينسون

دائما ينسون

يا أخضر .. يا لون الله

كيف صيروك قاتلا للجمال وكفيك ما زالتا محفوظتين في دن الحليب))

لكنها حين عادت للبيت اخبرت اباها إن ألأخضر الذي دفنه المختار سيعاود الظهور كرة اخرى وسيقتل البطل الخارق... سيد النهايات السعيدة وسيكون صغيري الأعمار سعداء بذلك... حقا ...

الرمان الأبيض

لا تعط أذنيك لطفل

سيعيدهما اليك بعد زمن وهما متخمتان بتغريد الطيور وهسهسه دبيب الأرض

لا تعط قلبك لعاشق ..

سيرده اليك مثخنا بجروح العسل

لا تعط قلبك لأمرأة.. ستعيده اليك بلا ذاكرة

.... في أحسن احوالك .. ستغرق في نوبة من الضحك السخيف ..

أو يلبسك بكاء مرير

كانو يحبون الرمان ويفطمون به أطفالهم ...تلك القرية الدائرية التي لا يسأل ابناؤها اي شيء عن اي شيء ...

حين زعل معمر القرية ..

توقف شلالها الصغير عن الجريان .

ساد حزام القرية ألأخضر من اشجار التفاح والرمان والبرتقال والعرموط والعنب والجوز واللوز والبندق والبطم

وجوم عميق

رغم انه لم يكن يرغب في انتشار رائحة حزنه الحادة كي تصل انوف ابناء القرية وهو مايؤلمه

ـ انها فرط الرمان ..ابنة معمر القرية الجميلة ..صاح رجل القرية الطيب

ـ كان عليها الألتزام بالأتفاق ..

كان لمعمر القرية ابنة فاق حسنها الجمال وبراري القرى وحتى محض الخيال وكان صديقها الوحيد طائر القرزبيل الكئيب والذي كان يحكي لها دائما وبدورها كانت تروي لأبيها الذي لم يكن يسمح لها بالخروج خوف ان تصيبها عين

حاسدة ..وتفقأ عينيها...وتنصاع لرغبة ابيها لكن كان على ذلك اليوم ان يأتي وتزعل وتلغي الأتفاق ان تغني لأبيها اغنية قبل النوم .

يقال ان طائر القرزبيل الكئيب الذي تأتمر بأمره الكثير من الطيور وتأتي له بحكايا الدنيا ...

كان يعشقها سرا ..لذلك حين قال معمر القرية انها حكاية عرف اهل القرية انهم على موعد مع حكاية ستبكيهم لزمن طويل

ليلا ..توافدوا على بيته ..امتلأت الباحة بهم حتى ضاقت شجرة الرمان بهم ..لابد ان يتوسط كل بيت شجرة رمان وهو ما يعرفه الجميع ..في حجر كل واحدسلة عامرة بالرمان ألأبيض ..يأكلون ويضحكون .....

ويضحكون

والمعمر يحكي وابنته بجانبه وجهها مغطى سوى عينيها

ـ كان فتى وسيما يعشق النهر ...(فتى مجرود المدلل) ههههههههههههههه

ذلك النهر الكتوم بأسراره واسماك الديرك كشعر جنيات الحبة الخضراء الزرق ..ههههههههههههههه بالع ألأخضر اليابس

لكن السيدة السوداء عطست في وجهه عطر انفاسها فأصيب بعماء القلب ولم يعط اذنه لكلام الحكماء الثلاثة عن مقابر ضحاياها المجاورة لكل قرية ..وحين آن اوانها وغرست زبابتها في قلبه ..

صار طيرا

..ارتقى غيمة وذاب في الزرقة ..

عاد الجميع الى بيوتهم ...نامو واستيقظت احلامهم المترعة بالحكايات الا ابنة المعمر كانت تعرف ان السيدة ذات الرداء ألأسود ستعود وتسأل عنه ..فقد اخبرها طائر القرزبيل الكئيب .

من يأتي على ذكرها ... ستأتي اليه ..اسكت شكوكها وصمتت

فيما كانت اسرة نومهم تطير باحثة عن حكاية ما ..

اخيرا.. نامت ابنة المعمر ... ورأسها على كتف الخوف

صباح ذلك اليوم كانت السيدة ذات الرداء ألأسود , تقف بباب منزل المعمر

ـ اين المختار ..ثم اختفت ... ضحكت ابنة المختار

انتشرت رائحة ورد الرمان في القرية.. خرج ابناؤها الى حزامها ألأخضر..انزوى كل منهم تحت شجرة وأخذ بـألأكل ...انتشرت رائحة الرمان والتفاح والبرتقال والعرموط والجوز والفستق.........

قال معمر القرية لرجل القرية الطيب القلب

ـ هل اكل الجميع..؟

ـ نعم وامتلأت بطونهم

ـ الحمد لله .. سيتقصف جلد الخوف عنهم ويعودون كما عهدناهم ..تفاحا ورمانا وبرتقالا وعنبا و......

كان الجميع خاتلا خلف ألأبواب والجدران يتنصتون بلسان حال القلق الى وقع خطاها وهو يبتعد وحين تتوقف الخطى ..يرتجفون ويزيد ارتجافهم ..رائحة برتقال

او عنب

او حبة خضراء

او عرموط

او....ليمون

ذلك يعني خوف بيت من بيوتات القرية

حين ابتعدت اصوات الخطى وتبخرت الروائح

همس ابناء القرية

حمدا لله ..لم يتأذ احد

تلك حكمة يعرفها الجميع ...انت.. ما تتناوله...لأنه بعد زمن سيعود ويتناولك ..عندها ستكون سلة فاكهة

ولأن ألأشجار لا تعرف الكذب ...كان الجميع يقول ما يريد وكيف يشاء

فكانو يتحدثون عن ابنة المعمر (فرط الرمان) التي بدأت تظهر عليها اعراض الشعر ...

انه الرمان ... من ...

لأنهم كانوا يعرفون ان كل شجرة من الحزام الذي يحيط بالقرية.. تطرح ثمرا يصيب اعراضا ما ...

لكن اعراض الشعر هو ماكان يخيفهم ...

لذلك لا يأكلون الرمان لوحده ابدا ..لابد من التفاح او الجوز ...او حبة الخضراء ...مخففا .....

لكن ابنة المعمر كانت تأكله لوحده بعيدا عن رقابة ابيها ...

فقط طائر القرزبيل الكئيب كان يعرف ...لذلك حين خرجت صباح ذلك اليوم المعبق برائحة الرمان وهي تركض

صعد ابناء القرية جميعا على اسطح منازلهم واعينهم الصفراء بأتجاه فتاة بثوب رماني ودمعها خلفها يتناثر حبات لؤلؤ ازرق ... وفوقها طائر القرزبيل الكئيب محلقا ومقلدا نعيق الغراب

غاق

غاق

غاق

..اينما ستذهب ... سيسبقها الشعر الى هناك وسيكون لطعم الرمان مذاق العسل في فم ألأخضرار

يا اخضرارك ..يا فرط الرمان الأبيض

لقد سبقك المختار وأخذ اخضراره وأراح ...

أمن خوف أم هبال..... تهربين

مساء... اجتمع الكل في بيت معمر القرية ..اول المتكلمين كان عنقود العنب الدائخ ..اعقبه برتقال الصيف البارد ..ثم عرموط حزن الراعي و تفاح الخله وليمون الصبي النزق

وخرخشه الجوز ..

وكسارة البندق و....

تفاحة البريئة..

كلام ..

كلام...

كلام...تعبقت باحة المنزل برائحة انفاس التفاح والعرموط والبرتقال والجوز والعنب .. صاح معمر القرية

ـ ستعود ..لا تحزنوا ..اعرف هذا واراه امامي

كان يعرف ان بينهم اكثر من خافق معذب عليها ..كيف لا وهي فرط الرمان ألأبيض ..صاح كسارة البندق

ـ والشعر ...ماذا عنه

ـ ليس هذا ...انه الحنين لخالتها جنية الحبة الخضراء ..اني اراها الآن نائمة جنب (مسرجة الليل العتيق) ...أشتم رائحتها ......

لم يصدقه أحد ...ابتسموا ..

خفتت الروائح ..كانو بحاجة لهكذا جواب...وغادر كل الى بيته .. سبقتهم رائحة اللوز المطعم بالعنب ...

عرفوا...

كان لوحده يبكى بحرقة ..

بعيدا عن هذا ...كان ابن (عرموط حزن الراعي) يقف لوحده امام صخرة بازلت سوداء وصقيلة...

يمرر بفرشاة رفيعة من شعر ماعز جبل مجرود ...خطوطا سوداء متموجه لشعرها ..

ذلك الأسود الكذابي الذي تعفنت فيه ألوان كثر ..

كل عشرة اعوام ينسلت لون

بعد قرن لن يبق سوى الأصفر المذهب ... سيد عشاق الشمس ...

لم يكن يعرف ان اللوحة لن تنتهي الا حين تصبح (فرط الرمان ألأبيض) عجوزا ههههههههههههههههههه ..

رسم العينين ورقة شجرة البرتقال معقوفة ...

اليمنى الصفراء المشقرة اصغر من اليسرى التمرية بلون الزيت ...

الفرشاة الرفيعة تتقوس وتتحدب بتقوس وتحدب تكحيلتيهما ..

كان يريد ان إيصال الكحل الى كل العيون التي تراها ..

نقط الأنف بالفرشاة ليحاكي لونه الجوز المحمص ..

وتكويرة الشفتين بلون الرمان المسود ...ثم تدور الفرشاة باحثة عن ملمس للجمال .... يحميه من عشقه المجنون بها ...هذا ما كان من أمر ابن (عرموط حزن الراعي).. (رائحة اللوز المعفن)

اما (فرط الرمان ألأبيض) .. فقد كانت جالسة وفي حجرها كومة من اللؤلؤ الأزرق ...بعد فشلها بإيجاد شبيه (المختار) ... كي تكتب فيه شعرا وهو ما كره ابناء القرية بالرمان وأحواله التي هي احوال شاعرة تبحث عن حبيب تكتب فيه ... كي تشفى من داء الشعر ..

عليها ان ترسل قلبها الى طائر القرزبيل الكئيب ... هناك سيكون بمأمن ..وسترى ما سيراه وتسمع ما يسمعه

وهو يطير

ويطير

عشق يبحث

عن عشق

ربما ستراه ...

لكن ذلك يعود الى فرشاة (رائحة اللوز المعتق)..هي من ستقرر شبيه مختارها ..فهي من ستختار ألوانها

سيكون الأصفر الباهت لصيقا بالأزرق الزنجاري الذي يخاف تزاوجه كي لا يكون الأخضر الحشيشي ابنهما اللقيط عندها سيقتل ألأخضرار كل يباس وسيضيع المختار وسط جمهرة القلوب المخضرة ...كذلك سيكون للأحمر المحروق شأن مع برودة الأخضر الحشيشي في إضفاء طعم القهوة للأرض ومنها تنطلق الوان الوجوه واطباعها ..اما الأزرق سيقاتل الجميع بدرجاته ما بين السماء والماء ليبقى وحيدا اخيرا ...يا لحزنك يا أزرق ...وانت الأخير بينهم ..آخر الأطياف الخجولة ...ابتعد

ابتعد

قدر ما مكنتك نفسك الباردة

فالعيون ستقبلك

وتنام على كفيك الماء ...السماء

اياك

اياك

ان تنام مع احد منهم

فالعالم ليس بحاجة لأبناء جدد

فالعيون قد ملأتها الألوان

من زمن بعيد

ما زال احفادك يبحثون عن عيون تفهم معناهم حين يتعشقون مع آخرين

ابيض مزرق

اصفر مشقر

اخضر طحلبي

احمر رماني

اسود ذبابي

وردي مبيض

سيأتي المختار

سينبجس منها

بعد ان يغادر الجميع ..الجميع

ولن يبقى سوى

طوق نرجس

وتغريد طائر

ودمعة عطر

سيبكي (رائحة اللوز المتعفن) ...كثيرا .. قبل ان يضيف آخر لمسات فرشاته

سيظهر اخيرا

ستضحك اللوحى

سيموت الرسام

و...ستجدين المختار يسير لصقك

عندها ...ستكتبين القصيدة

بعدها أعدك ستخلين ثوب الشعر وتعودين الي

فأنا طائرك الوحيد

يا شريدة قلبي ..

آآآه

كم احبك

اخيرا...

حط طائر القرزبيل على كتفها

كانت تضحك
لقد انتهت من كتابة القصيدة
ستتزوج طائر القرزبيل فيما بعد
ربما سينبت لها جناحان
من يدري ... ~~هههههههههههههههههههههههههههههه~~

القصـــيدة

يا فرط الرمان ....
اياك والرمان
بعده لن يكون ألأمر كما تعرفين
فالبرتقال لن يخدع الشمس بعد ألأن
والتفاح لن يفهم قلبي ابدا
واللوز ما انفك يضحك بوجه الحوامل
والعنب يبحث عن نهر سكران
وانا وطائر القرزبيل الكئيب
رغم فرشاة (رائحة اللوز المعفن)
رغم زعل معمر القرية
رغم حزن حزام القرية ألأخضر
ما زلنا نبحث ..انا وطائر القرزبيل
ما زال العشق يبحث عن العشق ....

لكنها لم تكن تعلم ان فرشاة (رائحة اللوز المعفن) نسيت رسم عينيها

يا لزعلها لو علمت ...بلحظة خشية من .... الفقدان ...فقدانها....

كسر الفرشاة وهرب خارجا ..ابن (عرموط حزن الراعي)... (رائحةاللوز المعفن)

ستبقى زمنا طويلا ...كي ينبت لها عينين من جديد ...هكذا هم ابناء قرية (شجرة الرمان ألأبيض) لا يتعلمون مما يأكلونه فحزام قريتنا الأخضر... مدرسة للأخلاق الحميدة ..

أحزان أميرة القصب الكلدانية

كانت تجلس على حافة بحيرة قصرها وهي تنش بريشة طائر النعام على سرب من طيور الحباري بريشها البرتقالي. تحوم فوق طائر الحمام الخجول لأنها تعرف قوة تأثير ريش النعام عليها فتهرب لكنها كانت تزداد اقترابا منه ..

أخافها ذلك.... نهضت ودخلت القصر ..المبني من آلاف وآلاف القصب البني الذي استمرت طيور الدراج والنوارس والحباري بجلبه لأعوام ... من (هور الحِّمار) ...كان موسم ريح العصافير يعني صفير موسيقى القصر من ملايين الثقوب بين اعواد القصب تبكي الجميع ..الا...هي ..وكلما اشتدت الرياح اللواقح ... زاد ضحك ألأميرة ورقص شعرها بلونه المتماوج ما بين ألأخضر وألأزرق ثم الليلاكي وقد زينتها بورد النارنج ألأحمر ...

انه مزاج السمكة الذي يتحكم بها ويسيَر عاطفتها الرخية باتجاهه ..

وحده ...فتى عشقها الخمسيني ورسائله قبل خمسين عاما والتي بدأت تصلها الآن تباعا ..

يا للبريد الثقيل . يا لحبل الكذب الطويل
يا لصبرها القصير
وهي ترى نسيانها ينام على القصة اياها
عسى ان تفقس يوما ما ...عنه
ولا غيره ..تذكرت ذاك الغول الحزين
لأنه ....
طيب القلب ...مثلها خائب الرجاء
فالخائبون هم فقط من ينتظر
لأنهم كل مساء يطحنون ألأيام بين اضراسهم ببرود

وكان ثعبان القهقيران الأليف والذي لا يكتفي برأس واحدة هو من طمأن قلبها بوجوده ...عليها ان تفهم بشكل دقيق ان الطالعين من المرآة هم سبب المشكلة ...لأنهم من فتحوا باب قلبها الصديء ففي أي مكان يحلون فيه سيلبس السوء وجوه من يقرب منهم وترتد عليه نواياه ...

المرايا لا تُقبل من يدخلها بل تبصقه وتصبغه باللون البرتقالي ..الذي طالما نفرت منه ألأميرة..الوليد من زواج النار بالشمس ... ولأنهم يعرفون هذه الحقيقة فقد صبغو عينيها بالبرتقالي... لذلك كان دخولها القصر بسببه

يا للمسكينة ..اميرة القصب

يا لفؤادها الموجوع به.. رغم ا ن اباهاالملك كان قد اوصى بها الى المؤدب ان يحيط بها من كل جانب ..درءا لها من الشعر ...لكن حال معرفتها ان طائر الحمام هو رسالة من فتى عشقها الخمسيني ...

ستأخذ طائرها معها وتبقى في القصر لأمد ...

لولا ظهور (آكل الظلام)..

الذي يظهر في اعمارهم مرة واحد ..

اينما وجد الظلام فهو آكله ..مشكلته انه طائر غير محظوظ ...لا يظهر الا نهارا.... يلتقط حبات الظلام المندسه في الزوايا والشقوق واسفل الدواليب والسراديب وألأقبية وألأماكن المنسية التي تمتص ألأصوات .. دائما ..شكله يشبه الطائر لمن ينظر اليه .. لكنه ليس بطائر بل اتخذ هذا الشكل كي يطمئن الناس اليه

حين يمتليء ويصل حد الأشباع .. يغادر ...بعده يشتاق الجميع الى حتى ولو عتمة بحجم الكف

حين ودعته (اميرة القصب) ..كان حزينا

عرفت ان هذه آخر مرة تراه فيها

سيبحث عن ليل عميق ليسكن فيه

لم يعد بحاجة لظلام ...اي ظلام ..
حتى لو كان في قلب
لأن ظلام القلب ...
أنقاهم ...
وكل ذلك بسبب الرحيل الطالع من عينيها

كانت فتاة بهية ... تركض كل صباح وسط حقول القمح وشجيرات الزنجبيل والفول السوداني والزعتر وشتلات الريحان والنعناع والكزبرة

تضحك
تضحك

تضحك ... يحيط بها اللقالق والحمام والزرازير والببغاوات وعصافير الدوري ... و....آلاف من طيور لم يتم تسميتهم بعد ... حتى حطت يمامة على كتفها ..همست في اذنها بضع من كلام وطارت

منذ ...ذاك النهار ...لم تعد ألأمور كما هي عليه
ادارت سريرها باتجاه الشرق
تزوج قلبها فتى عشقها الخمسيني
و...نامت مطمئنة
وهي العاشقة للطرق والدروب ..وتكرر دائما
ارض بلا طرق او دروب نيسمية
ارض خجولة
تكره البشر

لذلك كان لديها اكثر من دكاك ...أو الممهد. ...وهو حيوان ضخم من راخيات القدم ... يشبه الفيل يتغذى على البندق والحبة الخضراء ولا اعداء له سوى حفنة من الحشرات ....يعمل نهارات كثيرة في تمهيد ومسح ورصف طرق مدينتها بالقرميد ألأزرق وحجر جهنم

حين أتم الدكاك عمله قالوا لها

ـ دحرجي برتقالة ..او بيضة ... لن تتوقف

كان يوما باهيا

الكل يسير على الطرق المبلطة ويضحك

كل عام يأتي الدكاك ويعمل لينتهي في مثل هذا اليوم

لكن حزن ألأميرة نحى الفرح عن عيونهم

دخل الجميع بيوتهم

صمتت القرية

سينتظرون

ناموا جميعا

عند الصباح

كانت اسراب طيور تحوم فوق المملكة

عرفوا ان الأميرة ستغادر بحثا عن فتى عشقها الخمسيني

ولأن حبل كذب العشق طويييييييل

فقد نام قلبها عنه ... في سبات يوقف عمرها لحين وصولها عل عمرها يفقس عنه يوما ما

لأن حبها له كان اسوأ انواع الحب ...احست انها كذاك الغول الحزين بسبب طيبة القلب ..لأنها تعلم ان الخائبين هم وحدهم المنتظرين ...لأنهم يطحنون ألأضراس بين اسنانهم ...ببرود ...

كانت طيور الحباري تراقبها من بين شقوق القصب الرمادية ..وحين سألت صديقها طائر الحمام

ــ لم لا يقولون شيئا

اجابها :ـ

ـ لو ارادت الطيور ان تتكلم لتكلمت من زمن بعيد ..

ثم لوى عنقه ومات

لن يأتي .....

سيبقى حلما بلون الفيروز وشقائق النعمان الذي يحيط قصرها ألحزين ...قالو لها :ـ

ـ لن يأتي ... خذي بعض قلبك وابعدي ...يا اميرة القصب

لبست السواد

اعلن في المملكة ...ان اميرة القصب حزينة وستغادر القصر لزمن قد يطول وستترك شعرها اللواب وديعة عند طيور الحباري

ايام

وايام

وايام

وهي على دابتها (بهيمة ألأنعام) حتى وصلت (المدخن الحزين).. بنت لها كوخا على سفحه المظلم وكان طائر القرزبيل الكئيب بأنتظارها

اخبرها انه بانتظار اللآليء كي يوصلها لفتى عشقها الخمسيني على سفح (المدخن الحزين) المشرق ولا يسمح لها برؤيته ..

كل صباح يأتيها طائر القرزبيل بجذاذات فتى عشقها الخمسيني

تقرأها...... ثم ينهمر دمعها لؤلؤ ازرق... تجمعه وتضعه في كيس من قماش الحرير... يأخذه في منقاره ويطير به الى ...

و...هكذا...

حين خرجت أميرة القصب بوصفها (زهرة البرية الزعول) كانت ألأبنوسة قد مدت ذراعها اليابس واتكأت على كتف الكوخ لعل عين الزمان تلتقط لها صورة

ستسأله ...من الذي بدأ؟

ـــ دمعها اللؤلؤ ..ام جذاذاته ؟.. لكنها حين وصلت كوخه ... ادارت رأسها بعيدا تنفيذا لأمر التعويذة .. التي قرأها عليها طائر الحمام قبل ان يموت ...

عرفت انهم سيتبعونها
واحدا وراء الآخر
مسرجة الليل العتيق
حكيم القرية
طائر القرزبيل
مطرة النهار السعيد
حكماء القرية الثلاثة
طائر البرق اللواب
مغزل الساحرات اللغوجي .....والبقية....
فقط ... فتى عشقها الخمسيني لن يأت ....

حين وصلت قرية شجرة اللوز المعتق .. ترك الجميع مابيدهم وتبعوها ..لكن وهي على تخوم شجرة الرمان ألأبيض كانت هناك امرأة عجوز تجلس على صخرة قربها صخرة من البازلت ألأسود عليها رسمه لفتاة حسناء ..قيل انها فرط الرمان ألأبيض ...تدور في القرى لتحكي لصبيانها عن فتى احب امرأة برداء اسود واحتال على الموت بالطيران ...وكلما زادت مسافة سيرها زادت الجموع خلفها ...مرة وهي تشرب الماء لمحت وجهها ..كان البياض قد غزا ذوآبات شعرها المتماوج ما بين ألأخضر وألأزرق والليلاكي ...

حين وصلت اميرة القصب قصرها ..وجدت القصر قد تهرأ والقصب اتلفته ألأرضة والسوس ...لكنها سألت عجوزا يجلس قرب الباب كمن ينتظر

اخبرها ان القصر يعود لأميرة القصب دخلت القصر ...

هناك كانت تبكي بمرار .. لكن نغمات الريح من بين القصب كان يحاول اضحاكها ..انها اجنحة احفاد صديقها طائر الحمام قبل خمسين عاما

عند الصباح،

كان القصر ممتلئا بهم وكل طيور الدنيا تحيط بهم وتضحك بوجه النهار ... لقدعادت ايام القصب... امتلأ المكان بجمهرة من الوقوقة والزقزقة والسقسقة والنعققة والنعيبة والمصيحة والمزعطة والهدلَه والتغردة والعندلة ...

انسحب الصمت من البيوت ... انسحب السكون من الجدران

فتحت ألأبواب

خرج الناس من البيوت

فتح الدكاك عينيه

ارتجف التبليط

عاد فرح القصب لأميرة القصب

صاحت بهم تكلموا قبل ان ينتهي الزمان

قال حكيم القرية :

العشق صباح جوال على ماتبقى من قلوب الخائبين

قالت مسرجة الليل العتيق :

آآآآه كم كان وسيما وهو يضع حفنة حبة خضراء في كف خالتي

والقمر نصفه اخضر

ونصفه الآخر بلا شعر

قالت مطرة النهار السعيد :

انا التي حروفي هزت جدران القرية

خبئوا اوانيكم فالعشق قادم

قال ابن سرى الليل يا قمرنا

طعم العسير في فم الكلام

كوجه ابنة الوالي

لم احبب الولاة يوما

قال المختار :

لا مكان للأخضر اليابس

في زمن ألأرملة السوداء

فأنتم من خبأ السيدة ذات الرداء ألأسود

في جلباب الليل

لذلك كرهتني الطيور

قالت فرط الرمان ألأبيض :

اين انت يا مختار

ما زال عشقي يبحث عن عشق

قالت فرشاة الرسام :

كم ابغضكم يا ألواني

لم خنتم وجه الرمان

قال مطرب القرية اللواب :

عندليبة استيقظي

عادت اميرة القصب

سيجري دمع الموسيقى

على كفيك

قال مغزل الساحرات اللغوجي:

لم اعد اسمع الصمت

و.. قالت اميرة القصب:

من تزرع دموعها لؤلؤا

في عين العشق

فهي الوحيدة

اما البقية ظلال

متى يستيقظ فتى العشق الخمسيني؟

كان نهارا جديدا على الجميع بعد ان نفضوا حمولة القلب وجموح الروح وهم في هذا لم يكونوا على وفاق دائما .. بل لابد من الخلاف وألأختلاف حول من يحب اولا او ان يكون :

المحبوب

أم المحب... أيهما أسبق ..

أيهما أقوى

أن تكون محبوبا

أم أن تكون محبا ..

أم أسيرا للحب نفسه؟

وكان جمع من طيور القرزبيل يحملون نعشا واجنحتهم الحزينة ترفرف وهي تنوء بحمل جثمان اميرة القصب .. بعد ان وأدت قلبها وقررت اللحاق بفتى عشقها الخمسيني.

وهم يطيرون اليه

والريح تنوح خلفهم

والأشجار تغرد خلفهم

والجداول تغير من سيرها

والسناجب والأرانب والفئران البرية

تغادر جحورها

بعد ان انتفى للحب وجود

يا ليل الجبال

يا اشجار السماوات

يا انهار الدنيا

يا اعاصير الغضب

يا حريق القلب الهائل

هلموا

تعالوا

وشاركوا

مجلس عزاء أميرة القصب وفتى عشقها الخمسيني ..

بعد ان غادر الموت وترك لهما حرية اختيار لحظة الموت.

انتهى

المحتويات

صدر لحسين رحيم أيضا عن منشورات مومنت

مجموعته الشعرية

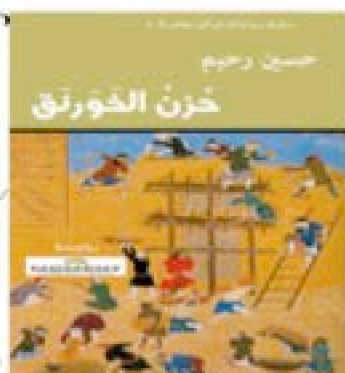
دمع العسل

لندن ٢٠١٣

اطلبها من الناشر مباشرة

Moment Digibooks Limited

Melancholy of AlKhawarnaq



Husain Raheem

لا تعط اذنيك لطفل، سيعيدهما اليك بعد زمن وهما
متخمتان بتغريد الطيور وهسهسة دبيب الأرض
لا تعط قلبك لعاشق، سيرده اليك مثخنا بجراح العسل
لا تعط قلبك لامرأة.. ستعيده اليك بلا ذاكرة،
أو يتلبسك بكاء مرير.
كانوا يحبون الرمان ويفطمون به أطفالهم...
تلك القرية النائية التي لا يسأل ابناؤها أي شيء
عن أي شيء...
توقف شلالها الصغير عن الجريان
وساد حزام القرية الأخضر أشجار التفاح والرمان
والبرتقال والعرموط والعنب والجوز واللوز والبندق والبطم